مَاتَ بِغَيْرِهِ
محمد بن الحميدي السبيعي

ⓒ محمد بن الحميدي السبيعي ، ١٤٤٧هـ

السبيعي ، محمد بن الحميدي
مات بغيره. / محمد بن الحميدي السبيعي - ط٢. .- الرياض ، ١٤٤٧هـ
٢٩ ص ؛ ..سم

رقم الإيداع: ١٤٤٧/١٨١٧٨
ردمك: ٩٧٨-٦٠٣-٠٦-٦١٧٨-٧

مَاتَ بِغَيْرِهِ

تأليف:

محمد بن الحميدي السبيعي

msubaie1@hotmail.com

الطبعة الثالثة

2026-1447

«رشيد» و«راشد» أخوان، ليس لديهما إخوة لوفاة والديهما في حادث عندما كانا صغيرين، وتولى تربيتهما عمهما «سعد»، وقد أحسن تربيتهما ورعاية شؤونهما خير رعاية، ورباهما مع بناته، فلم يكن لديه أولاد ذكور، فكان يعُدُّهما مثل أولاده.

رشيد يكبر راشد بعشر سنوات تقريبًا، ولم يكن مُوَفَّقًا في دراسته، وكان ينجح بشق الأنفس، وبالكاد حصل على الشهادة الثانوية، فما إن رأى عمه ذلك، حتى عرض عليه الالتحاق بدورة عسكرية في الدفاع المدني، وبالفعل التحق رشيد بهذه الدورة، وتخرج فيها برتبة «جندي»، وعُيِّن في مركز الدفاع المدني بمدينة الرياض، ثم طلب النقل إلى مركز الدفاع المدني في قريته.

بعد ثلاث سنوات تقريبًا، ذهب رشيد مع أخيه راشد إلى عمهما، وطلبا منه الحديث في عدة موضوعات تهمهما، أحضر عمهما القهوة، وقام راشد بأخذها منه، وصب لهما القهوة. طلب العم من رشيد الحديث، بدأ رشيد الحديث بصعوبة؛ فهو في حرج شديد من الكلام الذي سوف يقوله، لاحظ عمه ذلك، فطلب منه التنفس بهدوء والتكلم بما شاء؛ فهو مثل أبيهما.

قال رشيد لعمه: لدي ثلاثة موضوعات نريد التحدث معك فيها، أولها: أني الآن في عُمْرٍ أستطيع أخذ ورثي وورث أخي. وثانيها: أني أريد شراء بيت أو شراء أرض وبناءها، وثالثها: أني أريد الزواج من ابنتك «نورة».

رحَّب العم بما قاله رشيد، ورد عليه بأنه سوف يسلم له ورثهما، وأنه يقترح عليهما شراء البيت المجاور له، فبناؤه جيد وسعره مناسب، وأما طلبه الثالث فهو لا مانع لديه بشأنه ويؤيده بشدة، لكن لا بد من مشاورة ابنته. قاما وقبَّلا رأس عمهما، ووافقاه على مقترح شراء المنزل، وشكره رشيد على الموافقة على زواجه من نورة، وأيَّده في مشاورتها، وأشار إلى أنه ينتظر ردهم.

في الصباح، ذهب سعد وابنا أخيه إلى البنك، وحوَّل لهما ورثهما، ثم ذهبوا إلى صاحب البيت المجاور لبيت سعد، وطلبوا منه شراء البيت، ولما علم أن البيت لرشيد وأخيه وافق على البيع، وخصَم جزءًا من الثمن هدية لهما، وتقديرًا لعمهما.

وفي العصر ذهب رشيد وأخوه راشد إلى الرياض مع صاحبهما «خالد» لشراء سيارتين لهما. اشتريا السيارتين ورجعا للقرية، وذهبا لعمهما لتناول طعام العشاء معه، ولما

وصلا طلبا من عمهما الخروج لرؤية سيارتيهما، وأعطياه مفاتيح السيارتين اللتين كانتا معهما قبل، فهما في الأصل ملك لعمهما. في البداية رفض عمهما إرجاع السيارتين، لكنهما أصرا، وقبَّلا رأسه ويده وشكراه على كل شيء عمله لأجلهما.

اتفق الأَخَوانِ على تقسيم البيت؛ بحيث يكون الدور الأرضي لرشيد، والدور الأول لراشد، مع اشتراكهما في المجالس الخارجية، وبدأ الأَخوانِ في تأثيث منزلهما، واشتريا أرضًا في أطراف القرية لإقامة استراحة عليها.

بعد أسبوعين، ذهب رشيد لعمه سعد؛ لأخذ رد طلب خطبته لنورة، وكان العم يتحاشى لقاء ابن أخيه، لأن نورة مترددة في الموافقة على خِطبة رشيد لها، لأنها تربت معه وتَعتبره مثل أخيها، ويصعب عليها الزواج منه، وأبوها لا يريد الضغط عليها، وفي نفس الوقت لا يريد رد ابن أخيه.

أحضر عمه القهوة، وبدأ يسأل عن تأثيث المنزل، وبناء الاستراحة، وعن العمل. طال الحديث، ورشيد ينتظر من عمه أن يبلغه بموافقة نورة. قطع رشيد أسئلة عمه، وقال: ما رد نورة على خطبتي لها؟ قال له عمه: والله لا أعلم ماذا أقول لك، وأمنيتي أن تكون نورة من نصيبك، ولن أجد أفضل منك لها،

لكن نورة مترددة، وتعتبرك مثل أخيها. ثار رشيد، وارتفع صوته، وخرج من بيت عمه غاضبًا.

سجَّل رشيد مقطع فيديو يُعبر فيه عن حبه لنورة، وأنه سوف ينتحر بالقفز من سطح بيته المجاور لبيت عمه إذا رفضت الزواج منه، وأرسل المقطع لجوال نورة، وما إن شاهدت المقطع حتى فتحت نافذة غرفتها فزعة، لتتأكد من الأمر، فإذا برشيد في الغرفة المقابلة ينظر لها، فلما رأته أغلقت النافذة بقوة.

اتصل بها، فلم ترد عليه. كرر الاتصال ولم ترد، أرسل لها رسالة على «وَتساپ»، ولم ترد أيضًا. وتحت إلحاحه قبلت التواصل معه، وأعطته وقتًا معينًا للاتصال.

اتصل رشيد بها، وبدأ بالتأسف لها على المقطع الذي أرسله، وسَرَّهُ خوفها عليه، فردت عليه بأن هذا المقطع سخيف وأنها تتمنى عدم تكراره، وخوفها عليه طبيعي؛ فهي تعتبره مثل أخيها. هنا كتم رشيد غيظه وتمالك أعصابه لكيلا يُفسد المكالمة، وقال لها: إنه كان يعتبرها مثل أخته عندما كانوا صغارًا، وذكَّرها ببعض المواقف التي كان يدافع فيها عنها عندما كان ابن الجيران يضربها، وأكد لها أنه يحبها، وأن هذا الحب يزداد كل يوم، ولا سبيل لاستمرار هذا الحب إلا بالزواج. قالت

له: سمعت منك، لكن أعطني وقتًا أفكر في الموضوع وأرد عليك.

بعد عدة أيام، ورشيد ينتظر اتصالًا من نورة على أحر من الجمر، اتصلت نورة وهي في خجل شديد، وقالت له: إنها فكرت في الموضوع، وإنها تعزه وإن قدْره عندها كبير، وإنها تَعُدُّه مثل أخيها، ويصعب عليها فكرة الزواج به، ومع ذلك فإنها لن تجد أفضل منه يحبها ويعزها، ولم تعطه الرد النهائي، وقالت: إنه سيسمع الرد النهائي من أبيها.

بعد عدة أيام اتصل سعد برشيد؛ ليخبره بموافقة نورة على الزواج منه، وقد كان متوقعًا الموافقة بعد المكالمة الأخيرة معها، إلا أنه طار من الفرح، ولم تسَعْه الأرض من الفرحة. بعدها بعدة أيام عقد قرانه على نورة، ثم أكمل تأثيث البيت. وأقام عمه سعد حفلة كبيرة بهذه المناسبة، دعا لها الأقارب والأصحاب.

استقدم رشيد عاملًا هنديًّا اسمه «سونيان» ليساعده في بعض شؤونه، ويساعده في بناء الاستراحة وإدارتها فيما بعد، وكان لدى سونيان بعض الخبرة في البناء والكهرباء والسباكة، وكان يشرف على العمال الذين يعملون في بناء الاستراحة. طلب رشيد من عمال البناء ترك إحدى الغرف بدون تبليط أو

دهان، وقال: إنه سوف يؤجل إكمالها إلى وقت آخر. اكتمل بناء الاستراحة، وحاسب عمال البناء، ورحلوا.

وفي الغد، ذهب رشيد وسونيان إلى الاستراحة، فدخلا الغرفة غير المكتملة، وطلب رشيد من سونيان حفر حفرة في وسط الغرفة بطول مترين وعرض مترين وارتفاع مترين، سأله سونيان: لماذا؟! قال له رشيد: سأخبرك لاحقًا، سوف أتركك الآن تعمل وأذهب وأعود، وإذا طُرق الباب لا تفتحه.

عند الظهر عاد رشيد إلى الاستراحة ومعه غداء له ولسونيان، ورأى أنه قد حفر الحفرة كلها. عندئذ طلب منه أن يتوقف للراحة والغداء ويكمل بعد العصر. وأثناء الغداء أخبر رشيد سونيان عن حقيقة هذه الحفرة، وأنه يريد أن يستخدمها كمخبأ تتوافر فيه كل وسائل الحياة؛ بحيث يكون فيه إضاءة وتهوية وتكييف، ومكان لقضاء الحاجة. سأله سونيان: لماذا يريد عمل ذلك؟! فرد عليه رشيد قائلًا: ليس هناك سبب معين، فقد أحتاجه مستقبلًا، وكأنه شاعر بالأحداث المستقبلية.

وبخبرة سونيان، جهز المخبأ بالمواصفات التي طلبها رشيد، وجعل دخوله من الأعلى بواسطة مفتاح وُضع بجوار مفاتيح كهرباء الغرفة، كما ربط إحدى اللمبات في المخبأ بفتح

الباب؛ بحيث إذا فُتح الباب تضاء. وبعد ذلك، أكمل سونيان تشطيب الغرفة، وقاما بتجربة المخبأ، وطلب رشيد من سونيان عدم إخبار أحد بالمخبأ حتى أخيه راشد.

بعد سنة، توفي العم سعد، وحزنوا عليه جميعًا، وبعد شهرين أنجبت نورة ولدين توأمًا ذكرين، أسمى رشيد الأول راشدًا والآخر سعدًا، فرشيد يحب أخاه راشدًا حبًّا كبيرًا، فهو أخوه الوحيد، وبحكم فارق العمر بينهما، يشعر كأنه ولدٌ له، فهو من قام بتربيته، ويشعر أنه مسؤول عنه، ويحرص عليه كثيرًا، ويخاف عليه، ويحاول إسعاده بشتى الطرق، ويلبي كل طلباته.

تخرج راشد في الثانوية بتقدير ممتاز، ورغب في مواصلة دراسته الجامعية في تخصص الحاسب الآلي، فتقدم بأوراقه لجامعة الملك سعود في الرياض، وظهرت النتائج بقبوله، ففرح راشد فرحًا شديدًا، كما فرح له أخوه رشيد. ومع بداية العام الدراسي انتقل راشد للرياض، وسكن في سكن الطلاب، وفي نهاية كل أسبوع يذهب لقريته.

أراد سونيان الذهاب في إجازة لرؤية أهله وقضاء بعض الوقت معهم، وعلى الرغم من حاجة رشيد له فقد سمح له

بذلك، وقبل مغادرته بشهر نشب خلاف بينه وبين رشيد حول زيادة راتبه، فهو يعمل بمهامَّ تزيد على المهنة التي جاء من أجلها. ولتهدئة الحال طلب رشيد تأجيل الحوار فيه لحين عودته من السفر. ذهب رشيد لبيته وهو يفكر في أمر سونيان، وخشي أن يخبر أحدًا بموضوع المخبأ السري؛ نتيجة خلافهما أو عدم زيادة راتبه.

حينئذ طرأت له فكرة، فقرر إعطاء سونيان تأشيرة «خروج وعودة» لمدة شهر، وأن يخبره بأنها لمدة ثلاثة أشهر، وبذلك يضمن عدم عودة سونيان للمملكة لمدة ثلاث سنوات، وفقًا للنظام الذي ينص على «أنه في حال خروج الوافد بتأشيرة خروج وعودة، ولم يعد في الفترة المحددة في التأشيرة، يُمنع من العودة للمملكة لمدة ثلاث سنوات إلا على صاحب العمل السابق بتأشيرة جديدة».

سافر سونيان، وبعد انقضاء شهرين ونصف تقريبًا، وعندما أراد تجهيز أوراق عودته للمملكة، اكتشف أن تأشيرته منتهية، ولا بد من تجديدها عن طريق كفيله رشيد، اتصل برشيد يستفهم عن ذلك، فأخبره أنه حدث بالخطأ، وأنه سوف يصححه ويتواصل معه، لكن رشيد حظر رقمه، وأصبح يتجاهل

أي اتصال يأتيه من الهند.

أنهى راشد خمسة مستويات في الجامعة بمعدل مرتفع، وكالمعتاد يذهب إلى قريته نهاية الأسبوع، ويلتقي بأصدقائه الذين لم يحالفهم الحظ في القبول في الجامعة، ويسهر معهم في استراحة صديقه «سعود»، وكانوا يحبون لعبة «البلوت» كثيرًا، فهي لعبتهم المفضلة، وكذلك مشاهدة المباريات، وعندما تكون الأجواء جميلة يذهبون في نزهة برية.

وذات يوم وهم في الاستراحة يلعبون البلوت، كان راشد وسعود في فريق واحد، وأثناء اللعب خسرا بسبب خطأ ارتكبه راشد في اللعب. قاما وجلسا بالقرب من «الوجار»، وسعود غاضب ويصرخ في وجه راشد، واشتد الخلاف بينهما وارتفع صوتهما.

بدأ سعود بسب راشد، مما أدى إلى تشابكهما بالأيدي، وتعاركا، وعلا سعود راشدًا وسدد له اللكمات، وأصدقاؤهما يحاولون تفريقهما، فتحسس راشد ما حوله لعله يجد ما يضرب به سعودًا، وأمسكت يده بسكين كانت ملقاة على الأرض، فأخذها وطعن بها سعود في رقبته فسقط وهو ينزف، وهرب راشد وسط ذهول أصدقائهما.

حملوا سعودًا وذهبوا به إلى المستشفى، وأُدخل غرفة العمليات مباشرة، وأبلغوا الشرطة التي حضرت للمستشفى من الفور، أما راشد فذهب مسرعًا إلى بيته، وفور وصوله رأى رشيدًا قد وقف للتو، ونزل راشد وهو يرتجف ويقول: قتلت سعودًا. فُجِع رشيد مما سمع، وقال له: أغلق جوالك وضعه في السيارة واقفلها، واركب معي.

ذهب رشيد بأخيه راشد إلى استراحته، وأدخله الغرفة التي فيها المخبأ، وفتح باب المخبأ، وقال لأخيه: انزل ولا تتحرك، ولا يظهر منك صوت. وأحضر له الماء وبعض المشروبات والمأكولات التي في الثلاجة، وأخبره بأنه إذا أضاءت اللمبة الحمراء فيعني ذلك أن هناك أحدًا في الاستراحة؛ فاحرص على عدم الحركة أو ظهور أي صوت، وأنه سوف يذهب لتقصي الأخبار ويعود له.

خرج رشيد متوجهًا إلى بيته، فإذا بصديق راشد «سلطان» عند البيت. نزل رشيد وسلم عليه، وقال له: تفضل. قال سلطان: أين راشد؟ قال رشيد: هذه سيارته، قد يكون نائمًا. قال سلطان: لعلك توقظه؛ لأني أتصل به وجواله مغلق.

دخل رشيد وجلس دقائق، وخرج وقال له: راشد غير

موجود في البيت. ثم سأله رشيد ألم يكن معكم؟! قال سلطان: بلى. وأخبره بالقصة كاملة. تظاهر رشيد أنه فوجئ بالخبر، ثم قال: ماذا حصل لسعود؟ قال له سلطان: لقد تُوفي. هنا انهار رشيد وبكى ووقع أرضًا، ليس لموت سعود فقط، وإنما خوفًا على أخيه راشد.

في هذه الأثناء حضرت الشرطة، وسألت رشيدًا عن أخيه، فقال: لا أعلم أين هو! فطلبت الشرطة تفتيش البيت والاستراحة وسيارة راشد. فتشوا البيت ولم يجدوا شيئًا، وفتشوا السيارة ووجدوا جوال راشد مغلقًا، وطلبوا من رشيد مرافقتهم للاستراحة لتفتيشها.

ذهبوا للاستراحة، وما إن دخلوا حتى أضاءت اللمبة الحمراء عند راشد في مخبئه. بحثوا في كل مكان ولم يجدوا شيئًا وراشد يسمعهم. وقالوا لرشيد: ليس من مصلحة أخيك الهرب، وليس من مصلحتك معرفة مكانه وعدم الإخبار بذلك. ورد عليهم رشيد بأنه قلق على أخيه، وسوف يبحث عنه في كل مكان، وعند أقاربهم وأصدقائهم.

اتصل رشيد بجميع أقاربه، وأصدقاء راشد، وأخبرهم بقضية راشد وأنه هرب وهو يبحث عنه، وأبدى لهم قلقه، ومر

على كثير من منازل القرية يبحث عن أخيه، وطلب منهم البحث معه، وذهب لاستراحة أصدقاء رشيد وسألهم: هل تواصل معهم؟ فأجابوه: لا، ولا نعرف أين ذهب. وودعهم على وعد أن يخبروه إذا تواصل معهم راشد، أو عرفوا أي معلومة تدل على مكانه.

انتهت إجراءات تشريح جثة سعود، واستلمه أهله وصلوا عليه في مسجد القرية، ودفن في المقبرة، واستقبل أهله العزاء في منزلهم ثلاثة أيام، وذهب لهم رشيد برفقة «الشيخ مطلق»، وهو شيخ القبيلة وخال نورة. وعلى الرغم من انزعاج أهل سعود لحضور رشيد، فإنهم استقبلوهم تقديرًا للشيخ مطلق، الذي أكَّد على رشيد بعدم فتح أي موضوع في العزاء.

بعد انتهاء العزاء ذهب أهل سعود لمركز الشرطة مطالبين بالقصاص من راشد، رُفعت الأوراق للمحكمة، التي أدانت راشد بجرمه، والحكم عليه غيابيًا بالقصاص. بعدها، طلب رشيد من بعض وجهاء القرية الذهاب إلى أهل سعود، وطلب العفو أو الدية، لكن كل محاولاتهم باءت بالفشل.

وكان رشيد يذهب يوميًّا للاستراحة للقاء أخيه، وإمداده بالطعام وما يحتاجه من أغراض، فأحيانًا يأكل في بيته

ويأخذ الطعام لأخيه، وأحيانًا يأخذ الأكل ويأكل عند أخيه. ولشدة حرص رشيد؛ فقد منع راشدًا من الخروج من المخبأ نهائيًا حتى ولو كانت أبواب الاستراحة مغلقة.

شعرت نورة بأن رشيدًا يعرف مكان أخيه، وأن الطعام الذي تصنعه يذهب به له، ولذلك كانت تطبخ الأكلات التي يحبها راشد، فهي تعزه مثل أخيها ولا تريد أن يصيبه أي مكروه، ولا تريد أيضًا إحراج رشيد بمعرفته بإحساسها.

وبينما رشيد جالس عند أحد أصدقائه، دار بينهما الحديث حول عفو أهل سعود عن راشد. وبينما هم كذلك، قال له صديقه: لماذا لا تذهب إلى «الشيخ ماجد»؟ فهو إنسان محبوب عند الجميع، وأهل سعود يكنون له كل التقدير والاحترام، ومستحيل أن يرفضوا له أي طلب. استحسن رشيد الفكرة.

من الغد ذهب رشيد للشيخ مطلق، وطلب منه الذهاب معه إلى الشيخ ماجد، لطلب الذهاب لأهل سعود، وطلب العفو منهم أو قبول الدية. رحب بهما الشيخ ماجد، وأبدى أسفه لما حدث، وأنه حزين على الاثنين، وقال لهما: سأفعل ما أستطيع، والله يقدرنا على فعل الخير، ووعدهم بالذهاب لأهل سعود في أقرب وقت.

بعد عدة أيام ذهب الشيخ ماجد لأهل سعود، الذين استقبلوه أحسن استقبال، فهو شيخ له قدره وهيبته، وتربطه بأهل سعود علاقة طيبة. بعد السلام وتناول القهوة طلب الشيخ ماجد من سعود أن يبقيا بمفردهما.

طلب أبو سعود من الحضور الانتقال إلى المجلس الخارجي، وبدأ الشيخ ماجد التمهيد للموضوع، وتذكير والد سعود بعظم أجر العفو، ومهما حصل فهُم ورشيد وأخوه أبناء قرية واحدة، وأن ما حصل قضاء وقدر، وأنهم مستعدون لتلبية طلباتهم وشروطهم مقابل العفو.

لم يفاجأ أبو سعود من طلب الشيخ ماجد، وقال له: لا بد من مشاورة إخواني وأولادي، وحلف له بالله إن الأمر كبير عليه وعلى أولاده، لكنه وعد الشيخ ماجدًا خيرًا، وطلب أن يمهله عدة أيام. قال له الشيخ ماجد: خذ وقتك، وشاور أولادك ورد لي خبر، قال: إن شاء الله. وخرج الشيخ ماجد من منزل أبي سعود.

كان رشيد يترقب عودة الشيخ ماجد لمنزله بالأخبار المفرحة، فما إن رأى سيارة الشيخ ماجد متوقفة عند منزله، حتى أتى مسرعًا وهو يقول له: بشر يا شيخ. قال الشيخ ماجد:

إن شاء الله خير، أهل سعود وعدوني خيرًا، وسوف يردون علي بعد عدة أيام، وبإذن الله يحصل العفو.

بعد أسبوع اتصل أبو سعود بالشيخ ماجد، وطلب منه الحضور هو والشيخ مطلق ورشيد. اتصل الشيخ ماجد بالشيخ مطلق، وطلب منه الحضور هو ورشيد. حضرا عند الشيخ ماجد، ثم انطلقوا لأهل سعود.

فور وصولهم، استقبلهم أهل سعود أحسن استقبال. وبعد أن أخذوا أماكنهم في المجلس، قال الشيخ ماجد لأبي سعود : تفضل بقول ما عندك. قال أبو سعود: صلوا على النبي محمد -صلى الله عليه وسلم-. فصلوا عليه، ثم قال إن ما حدث قضاء وقدر، والأمر صعب علينا وعليكم، لكن مصابنا كبير، ولا أستطيع التفرد برأي لا يرضي إخوانه وأمه وأبناء عمومته، لكن تقديرًا لطلب الشيخ ماجد، وهو شيخ لا يستطيع أحد رد طلبه، وبعد مشاورة أبنائي وإخواني، قبلنا الصلح والعفو، ولكن بشروط سنخبركم بها الآن، ولا نقبل فيها نقاشًا.

قال الشيخ ماجد: تفضلوا بذكر شروطكم. قام أخو سعود الكبير وفي يده ورقة الشروط، وتلاها عليهم قائلًا: أولًا: العفو مشروط بظهور راشد خلال ثلاثة أشهر ابتداءً

من اليوم. ثانيًا: دفع دية قدرها سبعون مليون ريال، وتقديرًا للشيخ ماجد خُفضت إلى ستين مليون ريال، تدفع خلال ثلاثة أشهر من ظهور راشد. ثالثًا: يغادر راشد وأخوه القرية بشكل نهائي.

بعد انتهاء أخي سعود، تكلم الشيخ ماجد قائلًا: نقدر لكم قبولكم العفو، وليس لدي ما أقوله بعد إقفال النقاش في هذه الشروط، ونسأل الله أن يكتب الذي فيه خير لنا ولكم. وخرجوا من عندهم متوجهين إلى بيت الشيخ ماجد. وفي السيارة قال لهم الشيخ ماجد: الآن لا بد من استغلال المعطيات الجديدة أحسن استغلال، وطلب من رشيد إذا كان يعرف مكان أخيه أن يطلب منه تسليم نفسه، والدية مقدور عليها -بإذن الله-.

وصلوا إلى بيت الشيخ ماجد، الذي طلب من الشيخ مطلق البقاء عنده. فلما صارا وحدهما. قال له الشيخ ماجد: الموضوع عندك وأنا معكم في أي شيء تحتاجونه. رد عليه الشيخ مطلق وقال له: نقدر لك وقفتك معنا، وليس بمستغرب عليك.

دار بين الشيخين حديث حول المبالغة في الديات، التي وصلت إلى عشرات الملايين، وأن فيها تعجيزًا كبيرًا. وتساءل

الشيخ مطلق: لماذا تُطلب هذه المبالغ الكبيرة؟! وهل يعقل أن يتاجر أحدهم بدم قريبه؟! وهل يعقل أن تكون الملايين قيمة لدم أحدهم؟! فرد عليه الشيخ ماجد: وأنا أشاركك نفس التعجب، لكن لا تَلُم أهل القتيل، فمصابهم كبير، والناس يحرجونهم بطلب العفو، وقد يلجأون لطلب هذه المبالغ الكبيرة، إما لتعجيز أهل القاتل، أو على الأقل إخبار الناس بأن دم صاحبهم ليس برخيص، أو مجاراة لما يُطلب في مثل هذه القضايا.

واقترح الشيخ ماجد أن تكون هناك قوانين وأنظمة تضبط العملية؛ لأن الشباب المستهتر لا يأبه بقتل أحد، إذا علم أن جماعته سيفزعون معه بالمال والجاه. وأن يوقف العفو في قضايا القتل فترة من الزمن، فمن يَقتل يُقتل، لعل ذلك يساهم في الحد من قضايا القتل.

وما زال رشيد يتردد على أخيه في مخبئه، ويحمل معه الطعام والأغراض التي يحتاجها. وفي آخر لقاء أخبره بأن أهل سعود قبلوا بالعفو، وأخبره بالشروط، فما كان من راشد إلا أن قال لأخيه: لعلي أسلم نفسي. لكن رشيد رفض ذلك رفضًا قاطعًا، خوفًا عليه؛ لأنه يخشى عدم الاستطاعة على جمع

الدية، فالمبلغ كبير.

في المساء، ذهب رشيد للشيخ مطلق للتحدث معه حول كيفية التعامل مع الموضوع بعد ما استجد من أمور، فباغته الشيخ مطلق قائلًا: أين أخوك؟ تلعثم قليلًا، ثم قال: لا أدري. فقال له الشيخ مطلق: اصدقني القول ولن أخبر أحدًا. قال رشيد: سوف أجيب عن سؤالك إذا عاهدتني بعدم إفشاء سري. قال له الشيخ مطلق: أعاهدك. قال رشيد أخي مختبئ في مكان ما، ولكن لن أخبرك به.

قال له الشيخ مطلق: قُل له يسلم نفسه، لكي نبدأ بجمع الدية، وإن شاء الله سنستطيع جمعها، قال رشيد: وإذا لم تستطيعوا جمعها، يُقتل أخي!! لا لن أجعله يسلم نفسه. لكن لعلك يا شيخ تعلن في القبيلة عن جمع الدية، وإذا اكتملت يسلم نفسه. التفت الشيخ مطلق إلى رشيد غاضبًا: كيف تريدني أن أجمع المال لشخص متغيب؟! وكيف سيتقبل الناس جمع الدية لشخص غائب، لا يعلمون هل هو حي أم ميت؟! فقاطعه رشيد قائلًا: هو حي. فرد علي الشيخ قائلًا: هو حي عندي وعندك فقط. فخرج رشيد غاضبًا.

ما زال رشيد يتردد على أخيه، يزوده بالطعام وما يحتاجه من أغراض، وينقل له آخر الأخبار، فلما رأى راشد حال أخيه رشيد، اقترح عليه مرة أخرى أن يسلم نفسه، خاصة أن أهل سعود قبلوا الدية، والجماعة والقبيلة لن يتأخروا عن المساهمة في جمع مبلغ الدية. قاطعه رشيد رافضًا هذا الاقتراح رفضًا قاطعًا، وقال له: لن تخرج من هذا المكان إلا ومبلغ الدية قد اكتمل، ولا تناقشني في هذا الموضوع مرة أخرى.

وأصبح هم رشيد كبيرًا؛ فالوقت يمضي، ولم يجد حلًّا لقضية أخيه، وأصبحت الدنيا لا تسعه، وصار شارد الفكر طوال الوقت، ولا يشتهي الأكل. حزنت عليه نورة ولم يعجبها حاله، وحاولت التخفيف عنه ومواساته، وذكرته بضرورة التوكل على الله وتفويض أمره له، فهي تشاركه نفس الهم، فهي خائفة على راشد وتعزه، ولا تريد أن يصيبه مكروه، وأيضًا متضايقة لحال رشيد.

طرأت على نورة فكرة. فقالت لرشيد: أريد الذهاب لخالي الشيخ مطلق للسلام عليه؛ فأنا لم أزره منذ فترة. أوصلها رشيد لبيت خالها وذهب من الفور، فهو لا يريد رؤية الشيخ مطلق. لم يكن الشيخ مطلق موجودًا في البيت، فانتظرته

نورة إلى أن قدم بعد صلاة المغرب.

دخل الشيخ مطلق وسلم وجلس. وبعد مرور بعض الوقت، طلبت نورة من خالها التحدث معه على انفراد، فلما صارا وحدهما، قالت: رأيتَ ما حلَّ بنا بسبب قضية راشد، وما آلت إليه الأمور، وانظر إلى حال رشيد كيف صار؟! فحياتنا انقلبت رأسًا على عقب.

سألها الشيخ مطلق أين راشد؟ هل أخبركِ رشيد بمكانه؟ فردت عليه: لم يخبرني ولم أسأله، لكنني أشعر أنه يعرف مكان راشد، ولم أرغب في سؤاله لكي لا يتضايق. قال لها الشيخ مطلق: لا بد من تسليم راشد نفسه؛ لكي نستكمل بقية الإجراءات، لكن رشيد رافض ذلك. فقالت له نورة: لا تتعب نفسك يا خالي، لن يقبل هذا الشيء أبدًا.

قالت له نورة: عندي اقتراح لعله يكون سببًا في حل قضية راشد. قال لها: تفضلي. قالت: أنت شيخ القبيلة، ولك معزة وتقدير عند الجميع، فلعلك تجمع بعض رجال الأعمال المقتدرين المنتمين للقبيلة، وتطلب منها التعهد بدفع دية سعود كاملة، وألا يدفعوا أي مبلغ إلا بعد تسليم راشد نفسه. استحسن الشيخ مطلق اقتراح نورة، ووعدها خيرًا.

بعد عدة أيام، دعا الشيخ مطلق اثني عشر رجلًا من رجال الأعمال المنتمين للقبيلة، وأقام لهم مأدبة عشاء لم يدعُ لها غيرهم. وبدأ التحدث معهم عن قضية راشد، وما آلت إليه الأمور، وأنه وجد حلًا لهذه القضية ويطلب منهم مساعدته. ردوا عليه جميعهم بموافقتهم على ما يطلبه منهم. أثنى الشيخ مطلق عليهم سرعة وحسن تجاوبهم، وقال: بعد العشاء نكمل الحديث.

بعد العشاء قال الشيخ مطلق: إن أهل سعود عفوا بشروط ولها مدد محددة، ومن الشروط أن يسلم راشد نفسه خلال ثلاثة أشهر، لم يتبقَ منها سوى خمسة أيام، وإنهم طلبوا دية، قدرها ستون مليونًا تجمع خلال ثلاثة أشهر بعد تسليم راشد نفسه؛ لذا عندي طلب أتمنى أن تساعدوني فيه. قالوا: تفضل يا شيخ مطلق. قال: أطلب من كل واحد منكم أن يتعهد بدفع خمسة ملايين ريال، وبهذا يكتمل مبلغ الدية. وطلب منهم عدم دفع شيء حتى يطلب منه ذلك، لعل هذا الأمر يساعد راشدًا على تسليم نفسه. فردوا كلهم بالموافقة.

هنا اتصل الشيخ مطلق برشيد، وطلب منه الحضور لبيته. حضر رشيد وفوجئ بوجود هؤلاء الرجال مجتمعين

عند الشيخ مطلق. وبعد السلام عليهم، جلس رشيد، فقال له الشيخ مطلق: أبشرك يا رشيد، جمعنا الدية. قفز رشيد من شدة الفرح، وقال: صحيح؟!! صحيح ؟!! لم يصدق من شدة الفرح. فقال له الشيخ مطلق: صحيح. وهؤلاء الرجال تعهدوا بدفع مبلغ الدية كاملًا بعد أن يسلم راشد نفسه.

بكى رشيد من شدة الفرح، وشكرهم، وقال لهم: لن أنسى لكم هذه الوقفة. فقال له الشيخ مطلق: لعل راشدًا إذا سمع بهذا الخبر يسلم نفسه. وعند خروج رشيد، أمسك به الشيخ مطلق وقال: اذهب ودع أخاك يسلم نفسه اليوم قبل الغد. قال: سأفعل -إن شاء الله-، وقبَّلَ رأسه، وقال له: أشكرك جزيلًا، ولن أنسى لك ذلك، وسامحني على ما بدر مني.

خرج رشيد والدنيا لا تسعه من الفرحة، واتصل بزوجته يبشرها بجمع مبلغ الدية، وقال لها: إن راشدًا سوف يسلم نفسه الليلة. فرحت نورة فرحًا شديدًا، وبكت من شدة الفرح. وبعد اتصاله مع زوجته، ذهب باتجاه الاستراحة، لكي يُبشر أخاه بما استجد من أمور، ويخرجه من مخبئه لكي يسلم نفسه للشرطة.

وفي طريقه للاستراحة وهو يقود بسرعة جنونية،

انفجر أحد إطارات السيارة، وانحرفت وانقلبت عدة مرات، وقذفت به خارجها وتوفي في الحال. حضرت الشرطة والإسعاف، وانتشر الخبر في القرية، ووصل للشيخ مطلق الذي فُجع به، ووصل الخبر لزوجته نورة التي فجعت به أيضًا، وبكت بكاءً شديدًا على فراقه.

بعد انتهاء أيام العزاء الثلاثة اتصلت نورة بخالها الشيخ مطلق وطلبت منه الحضور عندها. جاء الشيخ مطلق وسلم عليها، فقالت له: الشخص الوحيد الذي يعرف مكان راشد هو أخوه رشيد -رحمه الله-، وأنا لا أعلم مكانه، لكن أتوقع أنه في مكان قريب من القرية، إما في خيمة في الصحراء القريبة من القرية، أو في كهف من كهوف الجبال القريبة، وأستبعد وجوده في الاستراحة؛ لكونهم بحثوا فيها ولم يجدوه.

فقال لها الشيخ مطلق: ما الذي جعلك تتوقعين ذلك؟ فقالت: لأن رشيدًا -رحمه الله- كان يطلب مني تجهيز الغداء، ويذهب به بعد صلاة الظهر ويعود لي قبل صلاة العصر. قال لها: استنتاج في محله، وقد يساعدنا في الوصول لراشد. خرج من عندها وجمع شباب القرية وأخبرهم بالأمر، وطلب منهم البحث المكثف.

تجمع شباب القرية في بيت الشيخ مطلق، وتوزعوا في مجموعات، وكل مجموعة حددت لها مكانًا تبحث فيه، وقد أخبرهم الشيخ مطلق أن أمامهم يومين فقط لمعرفة مكان راشد. انطلق الشباب، وطلب الشيخ مطلق من أحد أبنائه متابعتهم وموافاته بآخر المستجدات.

راشد في مخبئه ينتظر حضور أخيه إليه، وهذه أول مرة يتأخر رشيد عن أخيه كل هذه المدة. أخذ يقترب من باب المخبأ، ويلصق أذنه به لعله يسمع شيئًا يطمئنه، ولكن دون جدوى، وما بيده حيلة سوى الانتظار، فأخوه رشيد قد أفهمه وشدد عليه بعدم إبداء أي صوت مهما يكن الأمر.

بعد يومين، اجتمع شباب القرية في بيت الشيخ مطلق، وأخبروه بأنهم لم يجدوه. ضرب الشيخ مطلق كفًّا بكف، وقال: رحمك الله يا رشيد. لو أخبرتني بمكانه لكنا أنهينا هذا الأمر. شكرهم الشيخ مطلق، وقال: سنتوقف عن البحث؛ لأن الوقت قد فات للاستفادة من العفو، وطلب منهم إذا سمعوا أي معلومة تدل على مكان راشد أن يخبروه فورًا.

اتصل الشيخ مطلق بنورة وأخبرها بانتهاء المدة، وأنهم لم يجدوا راشدًا. حزنت نورة وبكت ورفعت يديها بالدعاء

لراشد، بأن يحميه الله. وفي المقابل ما زال راشد في مخبئه لا يحرك ساكنًا؛ فهو لا يعلم ما يحدث في الخارج، وما زال قلقًا على أخيه الذي تأخر عن المجيء له.

مر الأسبوع الأول وراشد ينتظر أخاه، وبدأ الطعام ينفد، وما زال راشد متقيدًا بوصية أخيه له. ومر الشهر الأول، ورشيد لم يأتِ والطعام لم يتبقَّ منه إلا القليل، ومر الأسبوع الأول من الشهر الثاني، وما زال راشد ينتظر أخاه. وفي هذه الأثناء نفد الطعام كله.

وبعد انتهاء الشهر الثاني، يئس راشد من مجيء أخيه الذي لا يعلم أين هو، ولا يعلم سبب عدم مجيئه، وبدا عليه الإعياء، فهو لم يأكل منذ أسبوعين، فأخذ يصرخ بأعلى صوته، ويضرب باب المخبأ بكل قوته التي انهارت من قلة الأكل، وأخذ يكرر ذلك إلى أن سقط مغشيًا عليه.

بعد ثلاثة أشهر تقريبًا، أتي سونيان للقرية، وذهب لاستراحة رشيد، ووجدها مقفلة ولا يوجد عندها سيارات، فذهب لبيت رشيد فوجده مقفلًا، ولا توجد عنده سيارات. استغرب، وتوقع أنهم مسافرون.

ذهب لبيت الشيخ مطلق، فهو يعرف أنه قريبهما، فرحب به، وأخذ يسأل عن أخباره، وأخبار أهله، ومتى رجع للمملكة، فقال له سونيان: إنه رجع منذ خمسة أشهر، ويعمل في أحد المحلات بالرياض، وجاء يسلم على رشيد وراشد.

أخبره الشيخ بقصة رشيد وراشد، وما حصل لهما. حزن سونيان عليهما، وطلب من الشيخ رؤية ابني رشيد؛ لأنه يحبهما، وسأل الشيخ مطلق مستغربًا عن عدم العثور على راشد، وطلب منه الشيخ مطلق البقاء لتناول العشاء عنده. وافق سونيان، واستأذنه لزيارة بعض الأصدقاء في القرية.

وأثناء زيارته لأحد أصدقائه تذكر أمرًا خطيرًا، جعله يترك صديقه ويعود سريعًا لبيت الشيخ مطلق، لكنه لم يجده في البيت، فطلب من أحد أبنائه الاتصال به للحضور فورًا. حضر الشيخ مطلق على عجل، فوجد سونيان ينتظره عند الباب. نزل الشيخ مطلق مسرعًا، واستقبله سونيان بقوله: أنا أعرف مكان راشد.

صُدم الشيخ من الفرحة، وقال له: أين مكانه؟ قال سونيان: سبق أن جهزت لرشيد مخبأ في استراحته، ولا يعرف هذا الأمر إلا أنا وهو، ولا بد أن راشدًا موجود فيه. طلب الشيخ

مطلق من الحضور ركوب السيارة، وذهبوا مسرعين لبيت رشيد، ودخل الشيخ مطلق، وطلب من نورة مفاتيح الاستراحة. أحضرتها وهي في دهشة من طلبه، فقال لها وهو خارج: إن شاء الله سنجد راشدًا. صدمت نورة من الخبر وبكت من شدة الفرح.

انطلقوا إلى الاستراحة مسرعين، ودخلوها، واتجهوا للغرفة التي بها المخبأ، وفتح سونيان باب المخبأ، وهنا كانت المفاجأة الصادمة، وجدوا راشدًا قد مات. هنا انهار الجميع، وبكوا وفُجعوا بما رأوا، وجثا الشيخ مطلق على ركبتيه وهو يبكي ويقول: كنت يا رشيد تريد حماية أخيك من سيف القصاص، ومات جوعًا بسببك، وهربت بأخيك من الموت إلى الموت، وذكر قول الشاعر:

وَمَن لَّمْ يَمُتْ بِالسَّيْفِ «مَاتَ بِغَيْرِهِ»

تَعَدَّدَتِ الْأَسْبَابُ وَالْمَوْتُ وَاحِدُ